

خليل مطران

حرصت على أن أستمع إلى محاضرة الأستاذ موريس أرقش الحماسي في النضال الشرقي، وكان موضوعها «خليل مطران شاعر الأقطار العربية».. وقد عرض لي ما عاقني عن الاستماع إلى هذه المحاضرة.

وأحسست أن شيئاً كثيراً قد فاتني. فلما أحب خليل مطران. أحبه إنساناً وأحبه شاعراً.

والأستاذ أرقش في طليعة الذين يستطيعون أن يتحدثوا عن مطران، فيطيلوا الحديث ويمسكوه. ولقد عرفت خليل مطران في عام ١٩٤٠، عرفني به أنطون الجميل (باشا) وجبرائيل تقلا (باشا).

وكان أنطون الجميل يحب مطران الشاعر الإنسان، وكان جبرائيل تقلا يحب مطران الكاتب الإنسان. وكنت إذ ذاك أشرف على الصفحة الأدبية في «الأهرام»، وكان أنطون (باشا) يشجعني على إفساح الصفحة لقصائد الشعراء. وكان تقلا (باشا) يقول لي إن الصحف اليومية لا ينبغي أن يكون

فيها مجال للقصائد. واحتكت إلى خليل مطران، وأنا واثق من أنه سيكون في صف أنطون الجميل. وإذا هو يقول: جبرائيل تقلا عنده حق.. ولم يكن تقلا (باشا) حاضرًا معنا. وسألته: كيف تقول ذلك وأنت أبو الشعر والشعراء؟

فقال: إن الشعر فن جميل وإذا لم يوضع في الإطار اللائق به، ذهب رونقه وأصبح مادة عادية مثل بقية المواد التي تنشرها الصحف اليومية. صار أشبه بباب الرياضة والبورصة والوفيات!

وخليل مطران كان معروفًا باسم شاعر القطرين. أي القطر المصري وقطر الشام. وعندما أصبحت الشام أقطارًا أطلق عليه اسم شاعر الأقطار العربية.

وهو، في رأيي، أستاذ المدرسة الحديثة في الشعر العربي. فقد كان الشعر قبله ألفاظًا ومعان. فجاء مطران ونظم قصائد كل منها تمثل بناء قائمًا بذاته أو كائنًا حيًا له رأس وقلمان ويدان ولسان وفكر وشعور، وهدف!

وقد بدأ محاولاته الشعرية الأصيلة في أواخر القرن

الماضي.

وفضل مطران على الشعر العربي من الناحية الفنية، لا يقل عن فضل عمود سامى البارودى من الناحية اللفظية. ولقد نشأ شعراء كثيرون بعد مطران. وربما تفوق عليه شاعر أو أكثر. ولكنه تفوق التلميذ على الأستاذ. ولقد شهد مطران تكريم الأدب له فى أخريات حياته. فقد تألفت فى عام ١٩٤٤ لجنة ضمت أدباء العروبة وعلماءها وفلاسفتها، وكان اسمها لجنة تكريم خليل مطران. وقامت اللجنة بطبع ديوانه فى أربعة أجزاء كبيرة، وأقامت حفلة فى دار الأوبرا تكلم فيها عشرون شاعرًا وخطيبًا. وحضرها الساسة والوزراء، وأساتذة الجامعات. وقام خليل مطران، وألقى أبيانًا بصوت ضعيف خافت. . عبر فيها عن شكره. وبعد عام على ما أذكر، سكت هذا الطود، ليدوى دائمًا فى تاريخ الشعر العربى الحديث.

المازنى الساخر

اختفى من دنيانا إبراهيم عبد القادر المازن، مات فى المستشفى وكان قد دخله لإجراء عملية جراحية بسيطة، قبل

وفاته بساعتين كتب مقالا « لأخبار اليوم » وكان أحد كتابها.
وهكذا انتهت حياة المازني كما بدأت كفاحًا، وكدحًا،
وعملا، وإنتاجًا، وتأملا، وتفكيرًا، واضطلالًا بالمسئولية من
أول رمق إلى آخر رمق. فقد واجه المازني أعباء الحياة وهو
طفل صغير مات أبوه وهو في السادسة من عمره، وتولت
والدته تربيته، وأدرك في طفولته ما تعانيه أمه في سبيله
فتحمل معها المسئولية بقوة وشجاعة، فكان لا يكلفها شيئًا
فوق طاقتها، تعطيه مصروفه اليومي فيأخذه ثم يرده إليها كاملا
في نهاية الأسبوع. تقدم له كل يوم ثلاث وجبات من الطعام
فيكتفي بوجبتين فقط.. تشتري له بدلتين فيستعمل بدلة
واحدة. فلما كبر وأصبح قادرًا على الكسب، حمل أمه فوق
كتفيه، وأكرمها. وكان رب أسرة ممتازًا فهو يعيش لأبنائه
وزوجته، يشقى ليسعدهم، ويتعب ليريحهم. وقد عانى في
حياته إرهاقًا كثيرًا. تخرج في مدرسة المعلمين العليا عام
١٩٠٩ واشتغل بالتدريس في وزارة المعارف، واستقال ليشتغل
في المدرسة الإعدادية وهي مدرسة أهلية، وكان يدرس معه
الاستاذان عباس محمود العقاد وأحمد حسن الزيات. ثم ترك
مهنة التدريس واشتغل بالصحافة. وقد عمل مع أمين الرفاعي

في الأخبار، ومع عبد القادر حمزة في البلاغ، ورأس تحرير
جريدة الاتحاد، واشتغل في صحف دار أخبار اليوم.

والمازن كاتب كبير صاحب أسلوب فذ في الكتابة والنقد.

وقد كان برغم عنفه في مهاجمة خصومه ودفع عدوانهم
عليه مهذب اللفظ، عفاً، مؤدباً يناهى عن الصغائر، ويرتفع
عن التجريح. وكان يحمل في رأسه عقل فيلسوف، ويحمل في
ضلوعه قلب فنان وكان شجاعاً في إبداء رأيه، وفي العدول
عن هذا الرأي إذا ما تبين أنه كان مخطئاً.. هاجم شوقي
الشاعر ووصفه بأنه قطعة متلكئة من قديم الزمن.. فلما مات
شوقي رثاه وقال إنه ظلّمه حين جرده من مكائنه ووصفه بأنه
شاعر عظيم وأن فقدّه خسارة لا تعوض.

وقد كان المازن على حبه للحياة يسخر منها ولا يباليها
وبراها ثوباً يجدر بالأحياء أن يخلعوه. وقد عبر عن هذا
الشعور في كتابه حصاد الهشيم فهو يقول:

«إن الحياة شيء حسن. له فضله ومزيتته، ولكنه على
ذلك ثوب يحسن أن يخلعه المرء إذا شاء أن يفوز بحقه!»

أغانى أم كلثوم وأغانى عبد الوهاب

قال لى أستاذ جليل إنه شديد الإعجاب بأم كلثوم
وعبد الوهاب وإنه قد استمع أخيراً لأغنية عبد الوهاب :
الكأس بين ايدي والشوق بين عيني
وانت فين عيونك يا حبيبي
واستمع لأغنية أم كلثوم :

وق الأرض شر مقاديره لطيف السماء ورحمانها
فتمنى لو أن عبد الوهاب هو الذى طلب إلى لطيف
السماء ورحمانها أن يبق الأرض شر مقاديره.. وتمنى لو أن
الكأس كانت بين يدي أم كلثوم والشوق بين عينيها وأنها هى
التي تتساءل : فين عيونك يا حبيبي !

ومضى الأستاذ الجليل يقول : لقد لاحظت أن بعض
أغانى أم كلثوم فيها رجولة عبد الوهاب وأن بعض أغانى
عبد الوهاب فيها رقة أم كلثوم... وكنت أتمنى أن تعبر أم كلثوم
عن طبيعتها، وأن يعبر عبد الوهاب عن طبيعته !

قلت إن سر ذلك يرجع إلى أن عبد الوهاب وأم كلثوم
ظلا فترة طويلة يتناقسان على عرش الغناء. وكان كل منهما
يحاول أن يجذب إليه جمهور الآخر. فغنت أم كلثوم للجنس
الحشن وغنى عبد الوهاب للجنس الناعم!

قال الأستاذ الجليل: إن الفن الصحيح هو التعبير عن
الحياة. وإن عبد الوهاب أو أم كلثوم لا ينقصه التعبير،
ولكن ينقصه إحداث انقلاب كبير... انقلاب تنساب فيه
أغانى عبد الوهاب من شفهي أم كلثوم وتنتطق أغاني أم كلثوم
من فم عبد الوهاب!

من هو... ولى عهد شوقي

ظهر في لبنان ديوان شعر باسم «دفتر الغزل» للشاعر
أمين نخله. وقد سجل الشاعر في دفتره أبياتاً لأحمد شوقي
نظمها عندما زار لبنان قبيل وفاته، وقال فيها عن الشاعر
أمين نخله:

هذا ولى لعهدى وقيم الشعر بعدي
فكل من قال شعرا في الناس عبد لعبدى

وقد قرأت في مجلة الآداب اللبنانية مقالا طريفاً بقلم
مارون عبود، نقد فيه دفتر الغزل وحلله، وداعب الشاعر
برأيه فيه فقال إنه «شاعر كبير وكاتب كبير!» واتهمه بالاعتماد
على الدعاية في ترويج بضاعته. ودلل على ذلك بأنه قدم
ديوانه بأبيات شوق التي أعلن فيها أن نخله أمير الشعر بعده!
وبأبيات أخرى لشاعر يوناني اسمه «بابادى باناتوس» أثني فيها
على شاعرية أمين نخله. وقد أطلق نخله على باناتوس هذا
لقب شاعر اليونان!

وقد تساءل مارون عبود: «تري من قال لشوقي إننا
نعترف بولايته حتى ينصب ولي عهد؟ فكل شيء يورث
إلا العلم. ومتى كان الشعر وقف ذرية حتى نجعل له قياً؟»
إنني متفق مع الأستاذ عبود في أن العلثوم والفنون
لا تورث. وفي رأبي أنه لا يصح أن يكون للشعر أمير أو
ملك. ولكن هذا لا ينفي حقيقتين، إحداهما أن شوقي كان
شاعراً عظيماً، وأن محاولات في الشعر التمثيلي ارتفعت به إلى
القمة والصدارة في تاريخ الشعر العربي. أما الحقيقة الأخرى
فهى أن شعراء العرب في عهد شوقي اعترفوا بإمارته للشعر.
بل إنهم بايعوه فكان في وقت واحد ملكاً ورئيس جمهورية!

وقد تمت هذه المبايعة في مهرجان أقيم بالقاهرة عام ١٩٢٦ واشترك فيه شعراء لبنان والعراق وسوريا وفلسطين والحجاز واليمن، وقال حافظ إبراهيم مخاطب شوقي:

أمير القوافي قد أتيت مبايعاً وهذى وفود الشرق قد بايعت معي

ولكن هذه المبايعة وما أحيطت بها من ضجة وهرج لم تمنع كثيرين من استنكارها مع اعترافهم بمكانة شوقي، وشاعريته الفذة. وقد أعدت جريدة السياسة الأسبوعية عددًا خاصاً عن شوقي امتلأت صفحاته بحملات شديدة تناولت شعر شوقي، وتصرفاته، وأخلاقه وصدر العدد الممتاز في أيام المهرجان!

وغضب الشاعر محمد المرأوي لأن لجنة المهرجان تجاهلته ولم تدعه لإلقاء قصيدة، وكان من المعجبين بشوقي، فثار عليه. ونظم أبياتاً قال فيها:

هو في أعينكم	ملك... لعله
وهي جمهورية	لا ترى محله...
ليس منا شاعر	لم يكن أجله
غير أنا معشر	ليس يرضى ذله

كيف نلقى هامنا حيث يلقى نعله
وهكذا تمت مبايعة شوق أميرًا للشعراء أو ملكًا أو رئيس
جمهورية.. في جو مشحون بالحب والبغضاء، والرضا
والغضب.

وقد فرح شوق بهذه المبايعة، فمن عيوبه أنه كان مولعًا
بالقشور يحب الثناء ويخاف من النقد. ويستهو به إطراء شعره،
وتلقيه بأمر الشعراء، ومناداته بيا «باشا»!!

وهي عيوب بيضاء قد تنال منه كإنسان ولكنها لن تنال
منه كشاعر عظيم عبقرى!

أما أبياته التي قال فيها عن أمين نخله: هذا ولي
لعهدى. فيخيل لي أنه أراد أن يداعب بها أمين نخله.. ومن
يدري لعل أمين نخله هو الذي أراد أن يداعب القراء!!